مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (32) العدد الثاني (ديسمبر 2019)

وصف واحة زلة من خلال كتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين

عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد

قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة سبها، براك الشاطئ، ليبيا

Email: abd.ali@sebhau.edu.ly

الملخص

هدف البحث إلى التعرف على النواحي الاجتماعية والاقتصادية لواحة زلة، من خلال كتابات المؤرخين أثناء تأريخهم للفتوحات الإسلامية، والأماكن التي وصلتها جيوش الفتح، والدول التي تعاقبت على المنطقة، وكذلك مشاهدات الرحالة المغاربة الذين مروا بالواحة في طريقهم للحج، وكذلك ما كتبه الجغرافيون، واستخدم لتحقيق أهدافه المنهج التاريخي التحليلي الاستنباطي، ومن نتائجه أن واحة زلة كانت محطة تجارية هامة تتقاطع عندها مسالك القوافل التجارية، وتتزود منها قوافل الحجيج، والقوافل التجارية بحاجتها من الماء، والزاد، والراحلة، والمرشدين، ومن ثم صارت مدينة تجارية كبيرة في القرن الخامس الهجري(11م)، ثم بدأ الاضمحلال بعد سقوط مملكة بني الخطاب في زويلة، وحتى القرن العاشر الهجري(16م).

الكلمات المفتاحية: الجهمة، الهروج، زلة، قوافل الحجاج، مزاتة.

المقدمة

زلّة (Zalla) بلدة مغمورة في أعماق الصحراء الليبية لم تنل حظها من اهتمام المؤرخين في عصرنا للكشف عن تاريخها الحضاري وموروثها الثقافي فلها ما يميزها عن المناطق المحيطة بها؛ لبعدها عن محيطها: فأقرب المعمور لها بلدة مستيح (الفقهاء) على بعد (140 كم)، وتعد زلة محطة هامة من

ISSN: 2706-9524 (Print) **ISSN**: 2706-9532 (Online)

محطات القوافل التجارية العابرة من بلاد السودان الأوسط والغربي المتجهة إلى مصر والقادمة منها، ونالت شهرة لدى تلك القوافل بحكم موقعها الاستراتيجي، ووفرة المياه من العيون والآبار، وكثرة نخيلها وإنتاجها العالي من التمور الذي تحتاجه، والذي كان يستبدل بما تحمله القوافل من سلع، فمثلت زلّة حلقة الوصل بين مدينتي زويلة وأوجلة وسرت على حوض البحر المتوسط، وقد شهدت أزهى أيامها في العصر الإسلامي، واستفادت من تحول طريق الذهب بعد قفل الطريق الجنوبي بين سلجماسة ومصر عبر واحات فزان الجنوبية (الواوات) وصعيد مصر بأمر من أحمد بن طولون (220-270 هـ/835-884م).

وانتعشت أكثر زمن حكم بني الخطاب لفزان (306-570 هـ/919-1175م)، وخصوصا عند انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر سنة 358 هـ/ 969م حيث تحول طريق الذهب عبر فزان إلى القاهرة مرورا بزلّة، ويبدو أن الواحة كانت زمن البكري في القرن الخامس الهجري (11م)، وحتى سنة 570 هـ/1175م عند مرور الوارجلاني بها أكبر مما هي عليه زمن ابن مليح الأندلسي، غير أن هذه الواحة شهدت ركودا تجاريا بعد سقوط الدولة الفاطمية وسيطرة المماليك الأيوبيين على مصر، وهجماتهم على المنطقة (أوجلة-زلة-زويلة) بقيادة المغامر شرف الدين قراقوش وما خلفته من فوضي وانقطاع للتجارة دام لأكثر من ثمانية عقود: تمثل في الإطاحة بحكم بني الخطاب في زويلة، وما تلاها من الأحداث الذي شهدتها منطقة الشمال الأفريقي: كالصراع بين الموحدين من جهة وبين بقايا المرابطين (بني غانية الميروقيين) وقراقوش من جهة أخرى، وتدخل الكانميين في فزان، وصراع نوابهم في تراغن مع الخرمان، ووصول قبائل بني سليم العربية للمنطقة، والصراع بين الخرمان والجهمة، ثم سيطرة العثمانيين على ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، وتحول طرق التجارة العالمية بين أفريقيا وأوروبا عبر المحيط الأطلسي، كل ذلك ألقى بظلاله على التجارة عبر فزان، فكان له الأثر السلبي على فزّان بصفة عامة، وزلّة بصفة خاصة، حتى عاشت المنطقة زمن رحلة ابن مليح الأندلسي عام (1040 هـ/1630م) وما بعده في

فقر مدقع؛ لاعتمادها على التجارة كمورد اقتصادي أكثر من اعتمادها على الزراعة.

لذلك رأى الباحث تسليط الضوء على هذه البلدة مركّزًا على وصف المؤرخين والرحالة والجغرافيين لكتابة تاريخها الاجتماعي والاقتصادي مختصرًا هذا البحث في محورين تناول المحور الأول الموقع، ونشأة البلدة وتطورها، والسكان الذين عاشوا فيها عبر العصور، والطرق التي ربطتها بمحيطها، بينما ركز المحور الثاني على وصف البلدة من خلال ما كتبه الرحالة والمؤرخون والجغرافيون عنها، وختمنا هذا البحث بخاتمة استخلصنا منها المراحل التي شهدتها البلدة من رخاء وشظف العيش عبر عصورها المختلفة، وآثارها على السكان.

مشكلة الدراسة

جمع ما كتب عن هذه الواحة عبر العصور وخصوصًا العصر الإسلامي وتوظفيها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لهذه البلدة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى كشف الغموض عن تاريخ الواحة والتغيرات الديموغرافية التي تعرضت لها، ونسيجها الاجتماعي عبر العصور وأهمية موقعها الاستراتيجي للقوافل العابرة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة من كشفها عن تاريخ هذه الواحة الأزلية التي قاومت ولازالت تقاوم عوامل الفناء وحافظت على عوامل بقائها حتى اليوم، ودورها في حركة القوافل التجارية وقوافل الحجاج المغاربة والفزازنة؛ ليستفيد منا الباحث وهواة التاريخ.

الدراسات السابقة ذات الصلة

لم يعثر الباحث عن أي دراسات سابقة عن الواحة.

المنهجية

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يركز على دراسة الواقع ويهتم بوصفه وصفاً دقيقاً، كما اعتمد على المنهج التحليلي الاستنباطي بعد جمع النصوص التي تتعلق بموضوع البحث، وترتيبها وتحليلها والتحقق من مصادرها، وإخضاعها لمنهج البحث التاريخي.

الإطار النظري

تكونت هذه الدراسة من مقدمة ومبحثين: تناول المبحث الأول (النشأة والسكان والطرق)، أما المبحث الثاني فقد تناول (زلّة في كتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين)، ثم الخاتمة التي لخّصت أهم النتائج والتوصيات.

المحور الأول: الموقع والنشأة والسكان والطرق

الموقع:

تقع مدينة زلة تقع على السفوح الشمالية الشرقية لجبال طنطنة (الهاروج) وتحديدًا على دائرة عرض (28 .33°)، وخط طول (17. 32°) ، وجغرافيًا تقع إلى الشرق من مدينة ودان بمسافة (160 كم)، وإلى الجنوب الغربي من بلدة مرادة بمسافة (240 كم)، وإلى الشمال الشرقي من بلدة الفقهاء بمسافة (140 كم) وهي أقرب المعمور إليها، وتعد زلة محطة هامة من محطات القوافل التجارية العابرة من بلاد السودان الأوسط والغربي المتجهة إلى مصر والقادمة منها، وبذلك نالت شهرة لدى تلك القوافل بحكم موقعها الاستراتيجي، ووفرة المياه

من العيون والآبار، وكثرة نخيلها وإنتاجها العالي من التمور الذي تحتاجه قوافل الحجاج المغاربة والتجارية، ومناخها صحراوي حار صيفًا، بارد شتاءً، تعتمد في زراعتها على المياه الجوفية، فقد حباها الله بكثير من العيون، وأهم مزروعاتها النخل، إضافة إلى بعض المزروعات الأخرى كالذرة، والقمح والشعير، وهو غير كاف لحاجة السكان، ولذلك تجلبه القوافل المحلية من الشمال والشرق؛ ليتم مبادلته بالتمر.

النشأة:

أنشئت البلدة في بداية تكوينها كحصن على رأس ربوة عالية تطور إلى مدينة حصينة، بها بئر ماء في وسط هذا الحصن؛ الأمر الذي يصعب معه حصارها عطشًا، وقد أزالت القوات الإيطالية عند احتلالها للواحة في سنة 1929م جزءًا كبيرًا من المدينة، وأقامت على أنقاضه حصنًا عسكريًا لحماية قواتها، ولا يوجد بين أيدينا نص واضح يحدد تاريخ تأسيس هذه البلدة، وما أمكننا الاطلاع عليه هي فرضيات قابلة للتغير، فأيوب يرى أن المدينة أنشئت زمن التواجد البيزنطي عندما بدأت القبائل الليبية المقيمة على سواحل خليج سرت تتوغل في الدواخل، ومارسوا التجارة مع بلاد جنوب الصحراء نتيجة الضغط البيزنطي بعد الاضطرابات التي شهدتها المنطقة عقب الثورة التي قادها انطالاس (Antalas) أحد زعماء قبيلة لواتة بعد المذبحة التي نفذها الجنود البيزنطيين في لبدة عقب المشادة الكلامية التي حدثت بين(صولومون) الحاكم البيزنطي(539-544م) وبعض زعماء لواته، والتي قُتل فيها جميع الحاضرين من لواتة، ومن نتائج هذه الثورة تم تدمير مدينة لبدة ومقتل صولومون وفرار سرجوس في موقعة سيليام (القصرين)، وألحقت الهزيمة بالجيش البيزنطي الذي قدم من تونس لنصرة سرجيوس بقيادة القائد البيزنطي سليمان، وعندما بلغ تهديد القبائل الليبية للوجود البيزنطي، وأصبحت تشكل خطراً عليهم في الشمال الأفريقي تحركت الجيوش البيزنطية من الشرق، وأخذت تقمع ثورة البربر بعنف مدمرة كل ما في طريقها

من ضياع ومزارع، وقطعوا الأشجار وغوروا الآبار؛ فاضطرت هذه القبائل لهجر أوطانها ومراعيها[1].

ونتيجة للقمع الذي مارسه البيزنطيون توغلت قبيلة **مزاتة** جنوبًا وبنوا مدينة زلة، ولما دُمرت في ظروف غامضة تمامًا توغلوا جنوبًا وأسسوا زويلة، التي كانت في مبدأ أمرها قرية صغيرة ثم أخذت تتسع تدريجيًا بوصول القوافل إليها حتى أصبحت مدينة كبيرة[2]، ويشاطره بعيو الرأي بشيء من التوضيح فقال: إن قبائل مزاتة تركت شواطئ خليج سرت بعد صراع طويل مع الرومان والبيزنطيين، وكانت هذه القبائل دائمًا في شجار مع بعضها على المراعي ومع الإمبراطورية الرومانية ثم مع الوندال من بعدهم، ونتيجة لهذا الصراع توغل المزاتيون جنوبًا واستولوا على واحات الجفرة وبنوا قاعدة لهم في ودّان وزلة، غير أن البيزنطيين لم يتركوا القبائل الليبية تنعم باستقلالها، فاحتلوا زلة لقربها من سواحل سرت فاتجهت هذه القبائل نحو الجنوب للابتعاد أكثر عن الخطر البيزنطي؛ حيث شيدوا لهم مدينة صغيرة عند المدينة القديمة المعروفة باسم (سليبا) أو(شيلالا)[3] وأسموها زويلة تصغيرًا لعاصمتهم زلة.

وأما عن سبب التسمية: فليس بين أيدينا تفسيرًا محددًا، ولعل ما جاء عند جواد علي في تفسير كلمة (زِلّة) فقال: هو لفظ يطلق على الحجارة الحادة أو الملساء، ونجد هذه التسمية كذلك في اللهجتين المعينية والسبئية[4]، ولعل ذلك يوافق تضاريس الواحة خصوصًا أنها تقع على سفوح جبال الهاروج – ولعل الاسم اشتق من مصطلح زايلة، وزاملة؛ لامتلاك أهلها الإبل[5].

---

[1] أيوب، محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان، مكتبة الفرجاني، طرابلس– ليبيا، 1968م، ص: 47؛ وسالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م)، ج: 2، ص: 61.

[2] المرجع السابق، ص: 86.

[3] بعيو، مصطفى، دراسات في التاريخ اللوبي، مط: عابدين، الإسكندرية، مصر، 1953م، ص: 176؛ والزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 4، 2004م، ص: 117.

[4] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة الشاملة الإلكترونية، ج: 11، ص: 361.

[5] ينظر، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 1، 2000م، باب زمل، ج: 11، ص: 309.

وفي المصادر العربية أطلقت على البلدة أسماء متعددة منها: (زالة، وزلهى، وزرلا، وزلّة، وزلى) وتكاد تجمع جل المصادر على أن اسمها (زالة): فورد ذلك عند أبي عبيد البكري(ت 487 هـ/1094م) في كتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب)[1]، وعند الإدريسي (ت.560هـ/ 1165م) في كتابه (نزهة المشتاق)[2]، وعند التجاني (ت 721هـ/1321م) في رحلته[3]، وعند ابن سباهي زادة في كتابه (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)[4]، وعند ابن غلبون في كتابه (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار)، وذكر أن العوام تسميها زلّة[5]، وعند الحميري (ت 900 هـ/1495م) في كتابه (الروض المعطار في خبر الأقطار)[6]، وأما المقريزي (ت. 845هـ/1441م) في المواعظ المواعظ والاعتبار فذكر أن اسمها (زرلا)[7]، وورد اسمها عند صاحب كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مراكشي مجهول باسم (زلى)[8].

وزلّة إحدى الواحات التي مر بها عقبة بن نافع سنة 22هـ في طريقه من برقة إلى زويلة، فسلك أقصر الطرق عبر الواحات إلى زويلة وجميعها فتحت صلحًا، فقد أورد الزهري في الطبقات، والبلاذري في فتوح البلدان، ما عرف

[1] البكري، أبو عبيد، المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر (د.ت)، ص: 12؛ وابن سباهي زادة، محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تح: المهدي عبد الراضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 2006م، ص: 365.

[2] الإدريسي، أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دراسة إبراهيم خوري، إصدارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية، 2000م، ج: 1، ص: 41، ص: 132-133.

[3] التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، وتونس 1981م، ص: 111-113.

[4] ابن سباهي زادة، المصدر السابق، ص: 365.

[5] ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر 1930م ، ص: 58.

[6] الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، ط: 2، 1980م، ص: 282.

[7] المقريزى، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مصر، ط:1، 1998م، ج: 1، ص: 544.

[8] مجهول (ق .6 هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد، دار آفاق للشؤون العامة، بغداد، العراق (د.ت)، ص: 147.

بخطاب الفتح الإسلامي، الذي مفاده أن المنطقة الواقعة بين زويلة وبرقة أصبحت سلمًا للمسلمين أدى مسلمهم الصدقة، وأهل ذمتهم الجزية، وقد أمر عمرو بن العاص أن توزع الصدقات على الفقراء، أما الجزية فأمر عماله أن تحمل إليه في مصر[1].

وأصبحت زلة في العصر الإسلامي الأول وحتى سقوط الدولة الأموية تابعة لبرقة[2]، وبالتأكيد فقد بقى في الواحة بعض من جنود الفتح وبعض الفقهاء الفقهاء لنشر الدين الحنيف، وكان آخر من تولى الحكم على المنطقة في العهد الأموي هو: عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير متخذا من زويلة مقرًا له[3].

ولعل ما تفيده الروايات الشعبية حتى اليوم في زلة أن قبور سبعة من الجنود الذين استشهدوا إبان فتح البلدة دفنوا بجوار القلعة من الجهة الشرقية ولهم أضرحة باقية إلى وقتنا هذا ويعرفون باسم (الصلاّح) يزورهم الأهالي للتبرك بهم، ويذكرون أسماء بعضهم (أبو جعفر، مفتاح) –غير أن هذه المدن بين برقة وزويلة فتحت صلحًا– والله أعلم.

وفي العصر العباسي تعرضت زلّة كغيرها من مناطق مزاتة الإباضية (ودّان– تاقرفت–زلّة–زويلة) لحملة إسماعيل بن عكرمة الخزاعي سنة 145 هـ/762م للقضاء على فلول الإباضية التي فرت إليها بعد مقتل أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري في موقعة تاورغاء سنة 144هـ/761م[4].

---

[1] ينظر: الزهري، محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير، تح: على محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط: 1، 2001م، مج: 5، ص: 70، مج: 6، ص: 139؛ والبلاذري، فتوح البلدان، تحقيق لجنة التراث ، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1983م، ص: 264.

[2] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 2003م، ج: 3، ص: 842.

[3] ابن ماكولا، الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ونايف العباسي، م: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1963م، ج: 2، ص: 35؛ وابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت) ص: 233.

[4] جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، م: الدار الجماهيرية الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، ط: 1، 2004، ص: 196.

السكان:

تعرضت الواحة عبر عصور التاريخ الطويلة إلى تغيرات ديموغرافية من النساميون الذين حدد هيردوت ديارهم قبالة خليج السدرة (سرت)، والبربر الذين كانوا بفلسطين، وتملكهم (جالوت بن ضريس[1])، ولما قتل (داوود[2]) -عليه السلام- جالوت رحلت البربر إلى المغرب وتفرقوا في البرية والجبال، بعد أن رفض المصريون بقاءهم في مصر، فاتجهوا غربا، حيث نزلت لواتة أرض برقة[3]، وسكنت مزاتة التي هي بطن من بطون لواتة[4] خليج السدرة، ونزلت هوارة أرض طرابلس[5].

وتتقاطع المصادر فيمن سكن هذه الواحة من البربر؛ فبعضها ذكرت أنهم من مزاتة، ومنهم أحمد بن إسحاق اليعقوبي(ت. بعد 292 هـ/905 م)[6]، فذكر أن سكانها القدماء من مزاتة، ويشاطره في ذلك كثير من المؤرخين والجغرافيين مثل: ابن حوقل(ت. بعد 367 هـ/977م)[7]، والبكري (ت. 487هـ/1094م)[8]، 487هـ/1094م)[8]، الذي أضاف أن مزاتة تحولت إلى الإباضية[9]، ويؤيدهم من المحدثين الزاوي في ذلك[10]، وقد أزال اليعقوبي كثير من الغموض حول هذه

---

[1] جالوت، هو: جالوت بن ضريس بن جانا، وهو أبو زناتة المغرب وجانا، هو ابن لواء بن بر بن قيس بن إلياس بن مضر فلما قتل داود عليه السلام جالوت البربري رحلت البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقت هناك. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق. المصدر السابق، ج: 1، ص: 222.

[2] داوود عليه السلام، هو: داوود بن إيشارين عباد بن حصور بن يريم بن سليمان بن لخيمة بن عبيدان بن إرم بن حصور بن فارض بن يهوذا بن يعقوب. ينظر: الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي، كتاب الأنساب. المكتبة الشاملة الإلكترونية، ج: 1، ص: 51.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام ... المصدر السابق، ج: 7، ص: 236.

[4] القلقشندي، نهاية الأرب ... المصدر السابق، ج: 6، ص: 119.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 236.

[6] اليعقوبي، أحمد، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن 1860م، ص: 44.

[7] ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: 102-103.

[8] البكري، أبو عبيد، المغرب، ص: 12.

[9] المصدر نفسه، ص: 12.

[10] الزاوي، طاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور طرابلس- ط: 1، 1968م، ص: 169.

الإشكالية فحدد لنا أماكن تواجد مزاتة وهوارة فقال: "**وينقطع ديار مزاتة من تورغة [تاورغاء] ويصير في ديار هوارة، فأول ذلك ورداسة، ثم لبدة ...، وهوارة يزعمون أنهم من البربر القدم، وأن مزاتة ولواتة كانوا منهم فانقطعوا عنهم، وفارقوا ديارهم، وصاروا إلى أرض برقة وغيرهم**"[1]، وأما الذين قالوا أنهم من هوارة يأتي في مقدمتهم التجاني (ت. 721هـ /1321م)، والذين نقلوا عنه، بينما ذكر الحميري (ت. 900 هـ/1495م)، أنها أخلاط من البربر ومن هوارة[2]، والأرجح عندنا أنهم من مزاتة والوحيد الذي حدد لنا الفرع هو ابن مليح فقال أنهم من عكارة التي هي بطن من بطون مزاتة[3]. وفي العهود التي سبقت دخول العرب ذكر اليعقوبي أنه تواجدت بالمنطقة قبيلة من الرحل الملثمين لمطة، ويحدد ديارهم بين زويلة وأوجلة، أي تقريبا في منطقة (جبال الهروج- تمسه-الفقهة-زلّة) بقوله: "**يلي زويلة إلى طريق أوجلة وأجدابية قوم يقال لهم لمطة، أشبه شيء بالبربر، وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض**"[4] -وهذه الصفات تنطبق اليوم على الطوارق- وبعد الفتح الإسلامي انتقلت بعض فروع القبائل القحطانية مثل: (غنث[5] وميدعان[6] التي تواجدت في مصر منذ الفتح الإسلامي إلى المنطقة الواقعة مابين برقة وزويلة[7]، ومن المحتمل أن بعض من

---

[1] الزاوي، معجم البلدان ... المصدر السابق، ص: 45.

[2] الحميري، الروض المعطار ... المصدر السابق، ص: 282.

[3] ابن مليح، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب في منتهي الآمال والمآرب سيد الأعاجم والآعارب، تحقيق: محمد الفاسي، م: وزارة الدولة للشؤون الثقافية، فاس، المغرب، 1968م، ص: 35.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 44

[5] غنث: هم بطن من مالك بن كنانة بن معد بن عدنان. ينظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، م: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: 1، 1988م، ج: 4، ص: 311.

[6] ميدعان: هم أبناء مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، ومنازلهم الوافي من أرض جعلان. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 3، 2003 م، ج: 2، ص: 386.

[7] مفتاح، صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، م: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1978م، ص: 186.

من هذه القبائل قد سكن مدينة زلة وشكلت جزء من نسيجها الاجتماعي في ذلك الوقت.

أما بعد الهجرة العربية الكبرى (بني هلال وسُليم) فقد استقر بالبلدة بعض من عرب الجهمة[1]، بعد الصراع الذي شهدته منطقة فزان بعد ضعف سلطة نواب الكانميين في تراغن، فذكر لنا المستشرق جاك تيري: " **أنه في بداية القرن العاشر الهجري (16م)، بعد وقت قصير من وصف ليون الإفريقي، برزت في المنطقة قبيلة من المحتمل أن تكون بربرية وهي قبيلة الخرمان، ... كما اقتحمت ميدان الصراع قبيلة بربرية أخرى وهي قبيلة الجهمة**"[2] –غير أنه من الثابت عندنا أن الجهمة قبيلة عربية ترجع أصولها إلى الصحابي الجليل (عمير القرشي أبو جهم[3]– وأن هذا الصراع قد قضى على عدد كبير من أبناء هذه القبيلة، والآن يوجد فرع منها يعرفون بأولاد (خريص) ولهم أبناء عمومة في قرى: تراغن، والقطرون، ومجدول، وتساوة[4]، ويذكر لنا الحشائشي في نهاية القرن الثالث عشر الهجري (19م) أن أولاد أخريص هم المسيطرون على البلدة برئاسة العربي بن محمد بن أحميدة، وأن البلدة كانت مصابة بالكوليرا زمن مروره بها[5]،

---

[1] الجهمة : قبيلة عربية خاضت حروبًا طويلة من أجل السلطة والنفوذ فكانت سببًا في تشتت هذه القبيلة، والقضاء على أغلب أبنائها، وخصوصًا تلك الحروب التي دارت بينها وبين أسرة الجبالي ذات النفوذ الواسع الممتد من ساحل الأحامد إلى الجبل الأخضر، خلال القرن الحادي عشر الهجري، وفي أواخر سنة 1070هـ/1662م، استنجدت هذه القبيلة في حروبها مع أسرة الجبالي بالشيخ جهيم بن محمد بن جهيم حاكم فزان خلال الفترة ما بين (1069–1093 هـ/1658–1682م)، فأنجدها بجيوش أغارت على عبد القادر الجبالي في سرت فتغلبت عليه وقتلته. انظر: ابن غلبون، التذكار، ص: 273.

[2] جاك تيري، المرجع السابق، ص: 373–374.

[3] أبو جهم (ت. نحو 70 هـ/690م) هو عامر أو عمير بن حذيفة بن غانم، من قريش من بني عدي ابن كعب: كعب: أحد المعمرين. أسلم يوم فتح مكة، واشترك في بناء الكعبة مرتين: الأولى في الجاهلية، والثانية حين بناها ابن الزبير (سنة 64 هـ). ينظر: الأعلام للزركلي، ج: 3، ص: 250؛ وعمر كحالة، معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 5، 1985م، ج: 1، ص: 214.

[4] ينظر: الدردير، احمد بن محمد الحضيري، المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان، من القرن التاسع التاسع إلى القرن الثالث عشر، تحقيق: أبو بكر عثمان القاضي، طرابلس (د.ن) 1996م.

[5] الحشائشي، محمد بن عثمان الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تحقيق، م: المرزوقي، الدار الدار التونسية للنشر، تونس 1988م، ص:76.

وفي الثلث الأول من القرن الرابع عشر (20م) ذكر أوغسطيني أن المنطقة قد تقلصت كثيرا فعدد سكانها لا يتجاوز (870 فردًا)، وأن من لحماتهم: عائلة عيسى، وعائلة عبد الله، وعائلة إبراهيم، وعائلة عصيدة، وعائلة ترو، ويصفهم أنهم عرب مستقرون، وينقل عن أهلها أنهم من أولاد وافي، وأبناء عمومتهم متواجدون بسرت وتاورغاء[1]، غير أن الإيطالي أوغسطيني لم يكن دقيقًا في وصف سكان زلة، ومن المؤكد أن سكان زلة تربطهم علاقات مصاهرة بأولاد وافي، أي أن أولاد وافي أخوال أولاد اخريص، وربما وجدت عائلة أصولها من أولاد وافي، كما أنه لم يذكر بعض العائلات الصغيرة التي كانت تعيش في زلة إلى جانب أولاد اخريص.

وعلى العموم يمكن القول بأن سكان زلة منذ أن زارها أوغسطيني في سنة 1917م، وحتى اليوم كالآتي:

عائلة أولاد اخريص، وتنقسم إلى (عائلة اخريص، وعائلة عبدالله، وعائلة عيسى، وعائلة أبوبكر)، وعائلة البكاكرة (أولاد مفتاح)، وعائلات أخرى منها: الزيادين، وعائلة ترو، وعائلة بن عصيدة، وعائلة رياح، وعائلة أبو عمود، وعائلة بن عمر، وعائلات صغيرة مثل: الجماعات، والمغاربة، والبراعصة، وربما تكون بعض هذه العائلات قد وفدت على زلة بعد أوغسطيني.

الطرق التي ربطت زلّة بمحيطها:

لقد سيطرت مزاتة على طرق ومراكز التجارة مع ممالك جنوب الصحراء منذ أن امتلكوا الإبل[2]، وورثوا بذلك طرق وتجارة الجرامنت، فربطت مناطق تواجدهم في زلة، وودّان، وزويلة شبكة من طرق التي سلكتها القوافل، ولعل من أهمها الطريق الذي يربطها مع زويلة القادم من الجنوب الغربي، وتقدر المسافات على هذه الطريق بين زويلة وزلّة بمسير عشرة أيام، والطريق الآخر من زلة يتجه

[1] أوغسطيني، هنري، سكان ليبيا، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، 1990م، ج: 1، ص: 351.
[2] جاك تيري، تاريخ الصحراء ... المرجع السابق، ص: 196.

شرقًا نحو أوجلة بمسيرة حوالي عشرة أيام[1]، أي أن إجمالي الرحلة من زويلة إلى أوجلة عبر زلة تقدر بمسيرة عشرين مرحلة، بالإضافة إلى أيام الراحة التي تحتاجها القافلة، وطريق يتجه شمالًا إلى مدينة سرت مرورًا (بتاقرفت[2]) تقطعه القوافل في تسعة أيام، وطريق آخر يربطها مع مدينة ودان تقطعه القوافل بين ثلاثة إلى أربعة أيام[3].

❁ ❁ ❁

المحور الثاني: زلّة في كتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين

لم نطلع على أي كتابات عن الواحة من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين قبل القرن الخامس الهجري(11م)، وأول من يطالعنا في هذا القرن بشيء من التفصيل هو أبو عبيد البكري، فقد وصف البلدة بأنها مدينة كبيرة فقال:" **ومدينة تمسى كبيرة بها جامع وأسواق يسيرة ومنها إلى مدينة زلهى ثمانية أيام في صحراء وفي وسط الطريق منزل لأهل ودان [الفقهاء] ومدينة زلهى كبيرة واسعة فيها جامع وأسواق ولها نخل كثير وعين ماء نزة يسكنها مزاتة**" [4].

وفي القرن السادس الهجري: ورد ذكرها عند الشريف الإدريسي(ت. 560هـ/1165م) في نزهة المشتاق فقال: "... **وزالة هذه بها حصن منيع فيه رجل ثائر بنفسه وبين هذه المدينة وبلد سرت تسعة أيام بين غرب وشمال إلى ناحية البحر ومن زالة أيضاً إلى أرض ودان ثمانية أيام ومن زالة إلى زويلة**

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص: 282.

[2] تاقرفت أو (تاجرفت): مدينة آهلة بالسكان بها جامع، يسكنها أهل ودان، والتمر بها كثير وأكثر أجناسه من البرني، الذي يباع في أسواق مدينة سرت، وبينها وبين ودان ثلاثة أيام، وبين بينها وبين زلة مسيرة يومان. ينظر: البكري، المغرب ... المصدر السابق، ص: 12.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 79.

[4] البكري، المصدر السابق، ص: 12.

عشرة أيام منحرفة إلى الجنوب مع الغرب[1]"، وذكرها في موضع آخر فقال: "... **ومن زالة إلى أرض ودّان ثلاثة أيام**"[2]، ويجانب الإدريسي الصواب في تقدير المسافة بين زلة وودان، فمرة يقدرها بثلاثة أيام، وهو الصحيح، ومرة أخرى يقدرها بثمانية مراحل، ولعل مرجع ذلك الخلط بين زلة وزويلة؛ فالإدريسي لم يزر المنطقة.

وفي هذا القرن أيضًا يأتي ذكرها عند صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مراكشي مجهول باسم (زلى) فقال: "**والدخول إلى بلاد الواحات من أوجلة وزلى وغيرها**"[3].

وفي سنة 570هـ /1175م ذكرها أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في قصيدته الرائية المعروفة (بالحجازية) التي يصف فيها رحلته للديار المقدسة لتأدية فريضة الحج. وفى قصيدته وصف لقرى ومدن فزان التي مر بها ومن بينها بلدة زلّة في الذهاب والإياب، وعن كرم شيخ البلدة، وأمنها فقال:

جزى الله عنا "جرمة" وبلادهـــــا * و"فزان" خيرًا شاكرًا غير كافـــــر**
هم أوسعونا ما استطاعوا بخيرهم * وعافية جلت ومن تمر تامـــــــر**
وكانت" تبستو" منزلا نزلت بـــــه * وراحت إلى "سبها" و"سمنو" و"فاطر"**
وجازت على "زرديج" وهي مشيحة * إلى "منزل العباد" ذات الفقائـــــر**
وقد هرج "الهاروج " فيها سمانها * ومرمرها "زرديج" كل المرامـــــر**
فلما أنخنـــــاها إلى "قصر زلّـــةٍ"* أنخنا إلى قومِ همامٍ مغـــــــاور**
إلىَ سَيّدٍ يُعْطِي الجَزِيـــــلَ وَيَنْتَمِي * إلى سَيّدِ النَّاسِ الكِرَامِ الأَكَابِـــرِ[4]**

وفي طريق العودة قال:

فَلَمَّا وَرَدْنَا مَـاءَ زِيْدَان قَلَّصَتْ * بُطُون بَنِي تَادَا ذَوَات المَجَاعِـــــــــرِ**

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج: 1 ص: 120 .

[2] المصدر نفسه، ج: 1، ص: 312.

[3] مجهول، الاستبصار ... المصدر السابق، ص: 147.

[4] ينظر: إمحمد، يحيى بن بهون (محقق)، رحلة الوارجلاني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر: ط: 1، 2011م، ص: 43.

وَفَرَّجَ عَنَّا كُلَّ هـــــمٍّ وَغَمَّةٍ * دُرَا زَلَّةٍ ذَاتِ العُيُونِ المَوائِـــــــــرِ**
فَلَمَّا وَطِئْنَا أَرْضَ زَلَّةَ أَفْرَجَــتْ * بِأَرْوَاعِنَا كُلَّ الهُمُومِ السَّوَاهِـــــــرِ**
شَمَمْنَا بِهَا أَرْوَاحَ مَغْرِبِنَا الَّتِــي * تُحَاكِي مِنْ الأَرْوَاحِ شُمَّ الدَّرَائـــــــرِ**
هُنَاكَ اخْتَلَفْنَا مِثْلَ أَوَّلِ مَـــرَّةٍ * فَبَعْضٌ إِلَى وَدَّان وَالبَعْـــــضُ آدْرِ**
وَصِرْنَا إِلَى اليُسْرَى كَأَوَّلِ مـرَّةٍ * وَكَانَ بِحَمْدِ اللهِ أَيْسَر يَاسِـــــــــرِ**
وَجُزْنَا عَلَى الهَارُوجِ ثَاني مَـرَّةٍ * وَقَدْ أَعْقَبَتْنَا مُعْصِرَات الصَّبَائـــــــرِ**
وأَمْـرَعَ مِـنْ قِيعَانِهَـا كُـلُّ جَانِـــبٍ * فَجَـادَ عَلَـى الظَّهْـرِ الضَّـعِيفِ المُحَاسِــرِ**
وَفِي جَبَلِ الهَارُوجِ للنَّاسِ آيَـةٌ * لَهُ مَنْظَرٌ كَالْبَحْرِ شُمّ المَنَاظْـــــرِ**[1]

غير أن الوارجلاني لم يخبرنا عن آثار حملة قراقوش على زلة[2]، وهو الذي مر بها بعد شهر من حدوثها؛ وربما أن زلّة لم تتعرض للدمار الذي تعرضت له بلدة الفقهاء أو ربما أن قراقوش اكتفى بالغنائم بعكس بلدة الفقهاء التي تعرضت للدمار وتشريد أهلها، ويفهم ذلك من قوله:

وَمِخْبَارَةٌ مِثْلَ القُرَى حِيْنَ دُمِّرَتْ * وَأَهْلَكَهَا الجَبَّارُ شَرَ المَخَابِـــرِ**
فَيَا مَنْزِلَ العُبَّادِ أَصْبَحْتَ مُوحِشَاً * وَجَرَّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ ذَيْلَ الأَعَاصِرِ**
وَأَصْبَحَ أَهْلُكَ الَّذِينَ تَتَابَعُـــــوا * كَأَحْلامِ نُومٍ بَلْ كَآثَارِ عَابِـــرِ**[3]

وفي القرن الثامن الهجري: ورد ذكرها أيضًا عند عبد الله بن محمد التجاني (ت. 721 هـ/1321م) في رحلته فقال: "**أما شرف الدين قراقوش فقد اتجه جنوباً إلى (سيوة)، ثم اتجه غرباً إلى أوجلة التي كان قد غزاها من قبل في سنة (568 هـ/1173م)، ومنها سار غرباً إلى زالة وانحرف نحو الجنوب الغربي حتى وصل إلى مدينة زويلة**"[4].

---

[1] بهون، المصدر السابق، ص: 67.

[2] المقريزي، السلوك ... المصدر السابق، ج: 1، ص: 171-174.

[3] – ينظر: رحلة الوارجلاني ... المصدر السابق، ص: 67.

[4] – التجاني، المصدر السابق، ص: 111- 113.

والقرن التاسع الهجري(15م): ذكرها المقريزي (ت.845هـ/ 1441م) في المواعظ والاعتبار فذكر اسمها **(زرلا)** فقال في معرض وصفه لحدود مملكة كانم وعن استنجاد أهل فزان بهم بعد غارات قراقوش وابنه على المنطقة وانقطاع التجارة : فقال: **"الكانم، وملكها مسلم، وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدّاً، وقاعدة ملكه بلدة اسمها حميمي، وأوّل مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا"**[1].

وأما الحميري (ت. 900 هـ/1495م) فذكرها في الروض المعطار فقال: " **بين أوجلة التي بأرض برقة وبين زالة هذه عشرة مراحل، وهي مدينة صغيرة عامرة وفيها أخلاط من البربر ومن هوارة، وبها تجارات، وفي أهلها مروءة، ومن زالة يدخل إلى مدينة زويلة، ومن زالة إلى أرض ودان ثلاثة أيام**"[2].

وفي القرن العاشر الهجري (16م) ذكرها ابن سباهي زادة في كتابه أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك فقال: " **زلّة: بفتح الزاي ولام مشددة، مدينة صغيرة ذات أسواق عامرة وهي حصن منيع ومنها يدخل إلى بلاد السودان ومنها إلى زويلة عشرة أيام من جهة الجنوب والغرب**"[3].

وفي القرن الحادي عشر الهجري(17م) وصفها ابن مليح عند مروره بها سنة (1040هـ /1630م) في كتابه رحلة الساري والسارب بكلمات مقتضبة فقال: "**... مدشر**[4] **قائم على ربوة مرتفعة يقال لها زلة، مدشر صغير لا معاش عندهم ولا قوت إلا ماء يسمونه أكَب: يستخرجونه من النخيل أبيض حلو ثم يطبخونه ويستخرجون منه شيئا يشبه الرّب وسكانه من عكارة**[5]، ولم يمر بها في طريق عودته من الحج حيث فضل أن يسلك الطريق الأقصر جنوب جبال

[1] – المقريزى، المصدر السابق، ج: 1، ص: 544.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج:1، ص: 312.

[3] ابن سباهي زادة، المصدر السابق، ص: 365.

[4] مدشر: لفظ مغربي معناه القرية، وجمعها دشر. ينظر: رحلة بن مليح، ص: 193.

[5] عكارة: بطن من بطون مزاتة . ينظر ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 103؛ وابن مليح، المصدر السابق، ص: 35.

الهاروج (أوجلة–زويلة)، فقال: "**وسرنا بعزم غير مرتاب... إلى المورد المعروف بأبي نائم فتخلينا عن الطريق الذي سلكناه أولا، وهي منزلة زلّة والفقهاء وانحرفنا لطريق الهاروج لأنها أقرب من الأولى... لا يسلكها الركب إلا أمطرت لكونها ليس بها آبار**"[1].

وفي القرن الثاني عشر الهجري (18م): ذكرها ابن غلبون في التذكار فقال: "**... فسار قراقش إلى (سنترية)، وهي المعروفة في زماننا بسيوة، وافتتحها وخطب فيها لصلاح الدين ولأخيه تقي الدين –سيد قراقش– من بعده، وكتب إليهما بذلك، وافتتح (أوجلة) و(زاله) وهي المعروفة عند العوام (بزلّه)، وأزال من فزان دولة بني الخطاب**" [2].

وفي القرن الثالث عشر الهجري (19م) ورد ذكرها عند الرحالة الألماني غيرهارد رولفس في رحلته الثانية في أواخر سنة (1878م)، وعند وصوله لمدينة سوكنة جرت مراسلات سرية بينه، وبين شيخ قبيلة أولاد أخريص بزلة؛ ليؤمنوا له السفر من زلة إلى الكفرة حاملًا هدية إمبراطور النمسا إلى سلطان ودّاي[3]، وذكر رولفس أنه وصل البلدة في 17 مارس 1878م، وكان وصفه لها كالتالي: "**اجتزنا بعد الظهر سهلًا عاليًا موحشًا وهو حمادة صادرة عن الهروج ونتيجة للون الأسود الذي يميز الحجارة التي تغطيها فقد دعيت بالسوداية وبعد نزول عسير بحوالي 150 مترًا فقد بلغنا الطرف القصي لبساتين زلة عند التاسعة مساءً، وعندما توجهنا في صباح اليوم التالي برزت لنا بعد حين بين بساتين النخيل عند التاسعة زلة الواقعة على جبل**"[4]. وأشار إليها الرحالة التونسي محمد الحشائشي في رحلته المسماة (**الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق**) وهو في طريقه من بنغازي إلى الكفرة لمقابلة السيد المهدي السنوسي

[1] ابن مليح، المصدر السابق، ص: 132.

[2] ابن غلبون، التذكار ... المصدر السابق، ص: 58.

[3] رولفس، غيرهارد، رحلة إلى الكفرة، ترجمة: عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2000، ص: 357.

[4] رولفس، المرجع السابق، ص: 359.

التي بدأت في (18 يونيو 1896م)، وقد سلك طريق غير الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية بين بنغازي والكفرة فاتجه من إجدابية إلى زلة، ومنها عبر جبال الهاروج إلى الكفرة التي وصلها في (21 يوليو)، فقال: "**وهكذا واصلنا السير حتى يوم 4 جويليه وهو يوم الوصول إلى زلة فصادفنا فيها مرض (الكوليرا) ولذلك اخترنا أن نخيم خارج المدينة عند عائلة من قبيلة الخرايصية... ومدينة زلة صغيرة يوجد فيها النخيل والماء، ورئيسها يسمى العربي بن محمد بن أحميدة ، واسم قاضيها هو حسين بن محمد ... وأشهر أعيانها هو عبد الله بن الحاج أحميدة، وتشكل زلة حد البلاد الخاضعة للسلطة التركية التي يتحملها السكان بنفاذ صبر**"[1].

وفي القرن الرابع عشر الهجري (20م): وصفها الطاهر الزاوي في معجمه فقال: "**وكانت زلة قبل الفتح الإسلامي تسكنها قبيلة مزاته البربرية وأكثر حاصلاتها البلح، ومزروعاتها قليلة، وتأتيها القوافل من سرت وغيرها محملة بالشعير والقمح، ليستبدلوا به البلح، وسكانها من العرب، ورياستهم في عائلة (خريص)**"[2].

أما عن الحالة الاقتصادية بعد القرن العاشر الهجري (16م) فقد تعرضت المنطقة خلال هذه الحقبة لحالة من شظف العيش، وفي هذه الحقبة كان الصراع على أشده في فزان بين محمد بن جهيم الفاسي[3] والأتراك ونائبهم أحمد بن هويدي على حكم فزان[4]، وفي تلك الحقبة شهدت ولاية طرابلس أسوأ عهودها في عهد

---

[1] الحشائشي، المصدر السابق، ص:76.

[2] الزاوي، معجم البلدان الليبية المرجع السابق، ص: 169.

[3] محمد بن جهيم هو: ابن أخي الطاهر بن المنتصر بن محمد الفاسي، وكان من الأمراء الفاسيين الذين حكموا فزان، ولما تغلب الترك على عمه الطاهر سنة 1032 هـ/1623م، فر هو إلى بلاد السودان الأوسط، وفي سنة 1036 هـ/1627م، كاتبه الفزانيون سرًا يستنجدون به على أحمد بن هويدي الخرماني المعين على فزان من قبل الترك فقدم عليهم. ينظر: الزاوي، الطاهر أحمد، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 3، 2004م، ص: 327.

[4] روسي إثوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911. تعريب: خليفة محمد التليسي. م: دار الثقافة، بيروت، لبنان 1974، ص: 274.

الدايات، وهي تمثل نهاية عهد مصطفى شريف داي (1614–1630م) وبداية عهد رمضان داي (1631–1633م)، وفي هذه الحقبة انقطعت التجارة مع بلاد السودان بسبب الصراع –وكما هو معروف أن فترة الصراعات تنقطع التجارة– لأنه كما يقول الاقتصاديون أن رأس المال جبان يهرب دائما من مناطق الصراع– وحتى بعد الصلح بينها الذي توسط فيه الشيخان علي الحضيري المعداني، وأخوه حامد[1] قد انعكس ذلك سلبًا على المنطقة حيث فرض الوالي التركي الضرائب الباهظة على محمد بن جهيم مقابل بقائه في حكم فزان، ومقدارها 4000 مثقال من الذهب، بالإضافة إلى تكاليف الحملة[2].

والأشد من ذلك أن الوالي التركي في طرابلس محمد داي الساقزلي (1633–1649م) زاد ظلمه: فقد احتكر تجارة النحاس والخرز والورق ومنع غيره من الاتجار بها، وزاد الأمر سوءًا عندما منع التجار من شراء جميع السلع القادمة من البحر إلا عن طريقه، وبذلك ضعف التجار وقل المسافرون إلى فزان والجالبون بسبب الحجر عليهم[3].

الخاتمة

من خلال النصوص السالفة الذكر عن واحة زلة التي تمثل مشاهدات وانطباعات الرحالة والمؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا عنها وجلهم لم يزوروها إلا (الوارجلاني، وابن مليح، والحشائشي ورولفس)، ومن ذلك نستنتج أن الواحة قد تطورت من واحة إلى محطة تجارية، ثم إلى مدينة تجارية كبيرة في القرن الخامس الهجري (11م)، ويبدو أن الوضع استمر جيدًا حتى منتصف القرن السادس الهجري (12م)، ثم بدأ الاضمحلال وانحراف المؤشر البياني في

[1] روسي إثوري، المرجع السابق، ص: 274.

[2] فيرو، شارل، الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوافي، م: جامعة قاريونس، ط: 3، 1994م، ص: 147–149.

[3] ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق: الطاهر الزاوي المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1349هـ، ص: 110.

الانحدار بعد سقوط مملكة بني الخطاب في زويلة، وحتى القرن العاشر الهجري (16م)، ويبدو أن الوضع الاقتصادي قد ازداد تدهورًا في القرن الحادي عشر الهجري (17م) زمن مرور ابن مليح بها فكانت تعاني من المجاعة، وأصبح أهلها في فقر مدقع.

ومن خلال تلك المشاهدات يمكن لنا قراءة الحالة الاقتصادية التي عاشتها المنطقة ثراءً وفقراً، ووضع تفسير منطقي لها، ففي تقديرنا مرجع ذلك إلى أن أهلها كانوا تجارًا، وجمالة، ومرشدي قوافل، وليسوا مزارعين لسببين:

أولهما: أن الواحة محطة من محطات القوافل التجارية، وكان لتغيير طريق الذهب إلى مصر عبر زويلة–زلة خصوصًا بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، واستتباب الأمن على الطرق في فزان في عهد مملكة بني الخطاب، حتى سنة 570 هـ/1175م على حالة من الرخاء، فكان شيخ البلدة يجزل العطاء ويكرم قوافل الحجاج، وهذا لا يكون إلا في حالة الرخاء، فقد كانت هذه الحقبة تمثل السنة الأخيرة من حكم بني الخطاب الذين شهدت فزان في عهدهم استقرارًا سياسيًا واقتصاديًا وكثرت على مسالكها القوافل التجارية؛ بفضل الأمن الذي ساد تلك الطرق، وكانت الطرق محمية بقلاع للحراسة نلاحظ بقاياها في زلة في الموقع المعروف اليوم باسم (برج محمود)، والمحيريق، وفي جميع قرى وواحات فزان، وكان على تلك القوافل أن تدفع مقابل ذلك ضرائب ميسرة مقابل مرورها والسماح لهم ببيع بضائعهم في المدن التي يمرون بها، وشراء ما يحتاجونه من رواحل، وحبوب، وتمر، وأعلاف، وغيرها، وكانت زلّة قبل غزوات قراقوش على المنطقة قد أصبحت تحت سيطرة ثائر متحصن بقلعتها ومستقلة بذاتها.

وثانيهما: أن أرض الواحة ليست خصبة، وأغلب زراعاتهم النخيل البعلي في الحطايا، وهم يصرّفون إنتاجهم للقوافل العابرة ببلدتهم، ومع المناطق القريبة منهم كمدينة سرت التي تعتبر الميناء الأقرب لهم بما يحتاجونه من الحبوب، والزيوت، والسمن، والحيوانات، وذلك جعلهم تجارًا وجمالة، وخبراء مسالك أكثر من مزارعين، الأمر الذي منحهم حياة اقتصادية مستقرة، كما يفهم من قصيدة

الوارجلاني أن المنطقة الواقعة شرق زلة وحتى واحة سيوة غير آمنة من قطاع الطرق فبعد وصولهم زلة أصبحوا آمنين، فقال:

فَجَالـــــوُ وأَزْرَاقِيَّةَ وبِلادَهَا * وَزِيدَانَهَا، كُلاًّ قَطَعْنَا بِخَافـــــرِ**

وبعد القرن التاسع الهجري (15م) يتضح لنا أن المنطقة تعرضت لحالة من شظف العيش؛ نتيجة صراع الفاسيين والأتراك العثمانيين على حكم فزان، واحتكار الولاة الأتراك تجارة جميع البضائع الواردة عن طريق البحر، فكان تأثير هذا الصراع سلبيا على اقتصاد فزان عمومًا؛ لاعتمادها على تجارة العبور بين حوض البحر المتوسط وجنوب الحزام الصحراوي، كما فقدت البلدة عدد كبير من سكانها نتيجة للمجاعة وفتك الأمراض كالكوليرا وغيرها، وهاجر جزء من سكانها للبحث عن فرص أفضل للعيش في أماكن أخرى.

المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة بن بطوطة (2003). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط الأولى، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (د.ت). تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (2003). جمهرة أنساب العرب، ط الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (د.ت). صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ابن سباهي زادة (محمد بن علي البروسوي) (2006). أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط الأولى، تحقيق: المهدي عبد الراضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ابن غلبون، أبو عبد الله محمد بن خليل (1349 هـ). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر (1963). الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ونايف العباسي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

ابن مليح، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي (1968). أنس الساري والسارب من أقطار المغارب في منتهي الآمال والمآرب سيد الأعاجم والآعارب، تحقيق: محمد الفاسي، وزارة الدولة للشؤون الثقافية، فاس، المغرب.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (2011). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

إمحمد، يحيى بن بهون (محقق) (2011). رحلة الوارجلاني، ط الأولى، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر.

البكري، أبو عبيد (د.ت). المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1983). فتوح البلدان، تحقيق: لجنة التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد (1981). رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، وتونس.

الحشائشي، محمد بن عثمان (1988). الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تحقيق: المرزوقي، الدار التونسية للنشر تونس، تونس.

الحميري، محمد عبد المنعم (1980). الروض المعطار في خبر الأقطار، ط الثانية، تحقيق: إحسان عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (2003). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

الزهري، محمد بن سعد (2001). كتاب الطبقات الكبير، ط الأولى، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد (1988). الأنساب، ط الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

المقريزى، تقي الدين أحمد بن علي (1998). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط الأولى، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مصر.

اليعقوبي، أحمد (1860). البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ألمانيا

ثانياً/ المراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت). لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

أوغسطيني، هنري (1990). سكان ليبيا، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس– تونس.

الزاوي، الطاهر أحمد (1968). معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا.

الزاوي، الطاهر أحمد (2004). أعلام ليبيا، ط الثالثة، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.

الزاوي، الطاهر أحمد (2004). تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط الرابعة، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.

أيوب، محمد سليمان (1967). مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية، طرابلس، ليبيا.

بعيو، مصطفى عبد الله (1953). دراسات في التاريخ اللوبي، مطبعة عابدين، الإسكندرية، مصر.

جاك تيري، (2004). تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ط الأولى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا.

جواد، علي (2001). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط الرابعة، دار الساقي، بيروت، لبنان.

رولفس، غيرهارد (2000). رحلة إلى الكفرة، ترجمة: عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.

سالم، السيد عبد العزيز (1981). تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

فيرو، شارل (1994). الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ط الثالثة، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.

كحالة، عمر (1985). معجم قبائل العرب، ط الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

Description of Zallah Oasis through the Writings of Travelers, Historians and Geographers

Abstract

This study attempts to highlight Zallah oasis and the stages of its development based on social and economic factors. The analytical historical approach was utilized in this study, and the data was collected throughout writings of historians during Islamic conquests, Moroccans travellers who passed by the Oasis in their way to performing Hajj, and what geographers wrote. The findings of this study revealed that Zallah oasis was an important commercial station where the commercial caravan routes intersect, and pilgrim caravans were provided with water, food, riding camels and guiders. Thus, it was a big trading city in the fifth century AH (11 AD) until the fall of the kingdom of Bani Al-Khattab in Zuweila in the tenth century AH (16 AD).

Keywords: Jahma, Haruj, Slip, Hajj Convoys, Mazzata.